خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم ٠٦ /٠٥/٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

لقد ذكرتُ قبل فترة أن المسلمين في هذه الأيام - بدلا من أن يتوجهوا إلى كسب الحسنات وتوطيد العلاقة مع الله - يذهبون إلى زوايا المتنسكين

ويزورون قبورهم ويقدمون النذور على قبور الأولياء ويدعونهم كدعاء الله. إن الأغلبية من سكان باكستان والهند يزعمون، لقلة العلم أو لعبادتهم مرشديهم إلى فترة طويلة، أن المرشدين أو الزعماء الدينيين أو الأولياء يمكن أن يحققوا لهم مُناهم ويغيثوهم؛ لذا يدعونهم. وقد توغل بعضهم في الشرك لدرجة أنهم يسجدون للقبور أيضا، وتقول بعض السيدات أحيانا إن هذا المرشد، صاحب القبر، هو الذي رزقني بابن وليس الله؛ فقد تفاقم الشرك إلى هذا الحد في بعض المجتمعات. وقد أصبح المسلمون أقرب إلى الشرك منهم إلى التوحيد، بينما كان من المفروض أن يكونوا هم الأكثر توحيدا لأن تعليمهم مبني على التوحيد، وقد أكد النبي ﷺ على التوحيد دائما، وهذا ما علّمناه القرآن الكريم أيضا. ومع كل ذلك توغل بعض المسلمين في الشرك لسوء الحظ، ويقومون أحيانا بتصرفات يبدون بسببها أقرب إلى الشرك منهم إلى الإسلام والتوحيد.

ففي هذا العصر منّ الله تعالى علينا إذ بعث فينا المحب الصادق للنبي ﷺ ليهدي الدنيا إلى التعليم الصحيح ويُنقذهم من التعاليم الفاسدة التي أفسدها المشايخ والمتنسكون والمرشدون الزائفون. ولقد أرشدنا مسيح الزمان والمهدي والحَكَم العَدْل والمحب الصادق للنبي ﷺ لإنقاذنا من قذارة الشرك وأعطانا مجددا تعليما هو تعليم القرآن الكريم بعينه، وأقام وحدانية الله تعالى، وبسببه نطلع على التعليم الحقيقي الذي جاء به النبي ﷺ، والذي يُظهر عظمته وأفضليته ويُثبت تفوّق الإسلام على الأديان الأخرى كلها، مهما ادّعى أصحاب الأديان الأخرى أن النجاة تكمن في دينهم. فمثلا تدعي المسيحية بوجه خاص أن المسيح صار كفارة لنا بموته على الصليب، وهو سبيل النجاة لنا. ويقولون

أيضا بأن المؤمنين به يتخلصون من الذنوب كلها لأنه ابن الله ومات من أجلنا، بل أصبح القديسون أيضا شفعاء في المسيحية. فقد قيل في عالَم المسيحية عن البابا يوحنا بولس الثاني مؤخرا بأنه قد ثبت من خلال بعض معجزاته أنه أيضا حائز على مرتبة الشفيع لأنه نال مكانة معينة من القرب بحيث يحق له الشفاعة ويستطع أن يفعل ذلك جالسا في الجنة.

على أية حال، هذه معتقداهم التي يعتنقونها بحسب تعليمهم الذي هو تعليم خاطئ في الحقيقة. والحق أن تعليمهم الحالي قد صار أساسا للشرك نتيجة اتخاذهم تعليما معاكسا تماما لتعليم عيسى عليه السلام. وقد أخبرنا المسيح الموعود عليه السلام عن خطأ هذا التعليم والعقائد الخاطئة للمسيحية. أقدم لكم الآن مقتبسا من كلام المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول:

"اعلموا أن الادعاء بالألوهية تهمة سافرة على المسيح عليه السلام، لأنه لم يدّع الألوهية قط، كل ما قاله عليه السلام عن نفسه لا يتعدّى حدود الشفاعة. وهل ينكر شفاعة الأنبياء أحد؟ لقد نجا بنو إسرائيل مرات عديدة من عذاب ملتهب بشفاعة موسى عليه السلام. إني صاحب تجربة في هذا المجال، وإن كثيرا من الشرفاء من جماعتي يعرفون جيدا أن بعضا من المرضى والمبتلين بالمصائب قد نجوا من مصابهم نتيجة شفاعتي، وكانوا قد أُخبروا بذلك قبل الأوان. إن الاعتقاد بصلب المسيح ليخلّص أمته وإلقاء ذنوبهم عليه فكرة عابثة تماما وبعيدة عن العقل كل البعد. بَعُدَ عن عدل الله وإنصافه أن يذنب شخص ويعاقَب شخص آخر. وباختصار، فإن هذا الاعتقاد مَجموعة أخطاء". (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية المجلد ٢٠)

ثم يقول عليه السلام في مكان آخر: "الحق أنه لا بد للشفيع من أن يكون على علاقة صادقة مع الله تعالى لكي ينال منه تعالى فيضا، ثم يكون على علاقة قوية مع الخلق لكي يوصل إليهم الخير والفيض الذي يناله من الله تعالى. ولا يمكن أن يكون شفيعا ما لم تكن هاتان العلاقتان قويتين. ثم هناك بحث آخر جدير بالاهتمام في هذه المسألة وهو أنه ما لم يلاحَظ هذان النموذجان لا تظهر للعيان نتيجة مفيدة بل تكون النقاشات كلها عقيمة. *(أيْ يجب أن يسفر ذلك عن العلاقة مع الله تعالى، ثم العلاقة مع الخلق وإيصال فيض العلاقة مع الله إلى الخلق وإلا فيكون الكلام كله فارغا)* انظروا إلى المسيح إذ لم يستطع أن يصلح بضعة من الحواريين، بل ظل يناديهم ضعفاء الإيمان، بل سمى بعضهم شيطانا أيضا، فلا يثبت له نموذج كامل من حيث الإنجيل. *(أي هذا ما قاله الإنجيل عن المسيح عليه السلام إنه لم يستطع أن يصلح حوارييه أيضا)* ثم انظروا إلى النموذج الكامل لنبينا الأكرم صلى الله عليه وسلم وكيف أنقذ قومه من العذاب الأليم روحانيا وماديا، وأخرجهم من حياة الذنوب وغيّر حالتهم رأسا على عقب. كذلك أفادت شفاعة موسى أيضا. ولكن المسيحيين الذين يعُدّون المسيح مثيل موسى لا يستطيعون أن يُثبتوا أنه أيضا أنقذ قومه من الذنوب مثل موسى. *(يوجد في العهد القديم ذِكرُ موسى بهذا الشأن ولم يُذكر شيء عن عيسى عليه السلام، بل كل ما ذُكر فيه إنما هي أقوال بولس وغيره من الناس الذين لا تُذكر أسماؤهم في التعريف)* بل نرى أن قوم المسيح فسد بعده إلى حدّ كبير. وإذا شك أحد في ذلك فلينظر بنفسه إلى لندن أو إلى مدن أوروبية أخرى هل جعلها موغلة في الذنوب أو حررها منها. *(ولكن إذا غيّر المرء تعريف السيئة وعدّ السيئات*

حسنات عندها فقد يمكن القول بأن تعليمه كان صحيحا، ولكن المسيح الموعود عليه السلام يقول بأن السيئات والتصرفات المنحطة عن مستوى الأخلاق وخروج المرء عن دائرة الإنسانية من حيث الأخلاق والسيئات الأخرى منتشرة في أوروبا. هذا لا يعني أن المسيح خلّصهم من الذنوب بل أغرقهم فيها) بل هي ادّعاءات فارغة لا يصحبها دليل واضح. فإن قول المسيحيين أن المسيح جاء للإنقاذ مجرد وهْم لأننا نرى أن حالة قومه فسدت بعده كثيرا وبعُدوا عن الروحانية أيما بُعد. (*حتى إن الكنائس أيضا بدأت تقول الآن بأنهم بُعدوا عن الروحانية كثيرا ولا يزالون يبعدون)*

بل الشفيع الحقيقي والكامل هو النبي ﷺ الذي أخرج القوم من قذارات الوثنية ومن كافة أنواع الفسق والفجور وجعلهم أمة مرموقة. والدليل على ذلك أن الله تعالى يُرسل نموذجا دائما لإظهار طهارته وصدقه. (الملفوظات المجلد ٣ الصفحة ٢١٦- ٢١٧)

فهذه هي الصورة الحقيقية للمسيحية التى أراناها المسيح الموعود عليه السلام، إذ إن عدم قدرة المسيح على إصلاح الحواريين ثابت من الإنجيل نفسه. ثم الموت على الصليب، وهو موت اللعنة عند اليهود عيب آخر، مهما قُدِّمت الآن تأويلات بهذا الشأن. غير أننا الأحمديين لا نؤمن بذلك بل نقول بأن الله تعالى أنقذ نبيه من جميع التهم التي أراد اليهود إلصاقها به، وأن عيسى عليه السلام نال عمرا طويلا ونجح في مهمته وأفلح في نيل الهدف الذي أرسله الله تعالى من أجله. لقد ذكرت ما يقال عن البابا نظرا إلى أن الصغار والشباب أيضا

يسمعون نقاشات كثيرة في هذه الأيام في المدارس حول موضـوع المعجـزة ويتأثرون بها أيضا فأردت من هذا البيان أن يكونوا على علم بالحقيقة.

تذكروا دائما أن المكانة التي يحتلها النبي ﷺ من حيث الشفاعة هـي المكانـة العالية والمرموقة في الحقيقة. وإن هذه النماذج لا تزال ملحوظة منذ أيام حياته إلى اليوم في أتباعه، إذ لا يزال يتولد بينهم أناس يُظهرون المعجزات. ونحـن الأحمديون نؤمن بذلك بكل ثقة وإيمان بأن تجليات القدرة التي يريها الله تعالى في هذه الأيام أيضا إنما هي ببركة اتباع النبي ﷺ. نحن قائمون على هذا اليقين والإيمان بأننا لسنا بحاجة إلى شفاعة أي قديس. بل الفوز بلقاء الله تعالى منوط الآن بالعمل بالتعاليم القرآنية والعمل بأحكام النبي ﷺ. وهذا هو المقام الـذي أراد المسيحيون اليوم أن يمنحوه لأحدهم بعد وفاته وليس هو مـا وهبـه الله تعالى، ولا يعرف أحد إن كانت تلك الأمور التي يشيرون إليها معجـزات أم لا، بل اعترضت إحدى الجرائد البولندية قائلة أنه قد يكون خطأ لجنة الأطباء التي تقرر أنها معجزات أو ليست كذلك. فلا نعرف مدى صحة تشخيصهم لمرض الشلل الرعاشي (Parkinson's) الذي أصاب المرأة، بـل لعـل مرضها كان مشابها للشلل الرعاشي الذي يبرأ منه الإنسان تلقائيًا بعد فترة من الزمن.

على أية حال، أريد أن أخبركم الآن ما هي نظرية الشفاعة الإسلامية؟ وماذا يجب أن يكون معنى الشفاعة عند المسلمين؟ ولقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة حول هذا الموضوع، وسلط المسيح الموعود عليه السلام الضوء على هذا الموضوع من خلال الآيات القرآنية وبيَّن حقيقته. ذكرتُ مثالين متعلقين

بنظرية المسيحية عن الشفاعة، ولقد قرأت قبل قليل آية الكرسي التي تقرأون ترجمة معانيها عمومًا والبعض يحفظون هذه الترجمة أيضا وهي: لا معبود سوى الله الذي هو الحي الدائم والقائم بذاته، لا يأخذه النعاس ولا النوم، وله كل ما تحويه السماوات والأرض. من يمكنه الشفاعة عنده بدون إذنه؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يستطيعون إحاطة علمه شيئا إلا بقدر ما شاء. تمتد ملكوته إلى السماوات والأرض وتحيط بهما ولا يتعبه حفظهما وهو العلي العظيم.

لقد قال النبي ﷺ عن هذه الآية أنها سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ، ولقد رُسمت فيها لوحة رائعة لصفات الله تعالى. بل ورد في إحدى الروايات أن من قرأ أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وآيتين بعدها وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ خَاتِمَتِهَا، ابتعد عنه الشيطان. فلقد وضع الله تعالى في هذه الآيات بركة خاصة. فإن العمل بالتعاليم الإسلامية واستيعاب معاني صفات الله تعالى، والسعي الدؤوب من أجل طهارة القلب لهي أعمال تجلب أفضال الله تعالى، ومن دأب على هذه الأعمال وجبت له شفاعة النبي ﷺ وفق ما ثبت من الأحاديث. أما الأخطاء الصادرة عن الإنسان بسبب ضعفه البشري فيصفح عنها الله. ولكن لو لم تكن لأحد أعمال حسنة، ولا يتحلى بيقين بذات الله تعالى، ولا يواظب على الصلوات بل يكون راغبًا عن العمل بأحكام الله تعالى، فلا يسعه نيل الشفاعة والمغفرة بمجرد زيارته قبور الأولياء والزهاد والدعاء عليها. فلو كان المسيحيون يرتكبون الإشراك بالله تعالى في الظاهر فإن بعض المسلمين يشركون به في الظاهر والباطن أيضا. على أية حال، أبين لكم على ضوء

تفسير سيدنا المسيح الموعود ﷺ ما تتضمنه هذه الآيات من رسالة عظيمة.
يقول حضرته ﷺ:

"يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.. أي أن الله تعالى جامع للصفات الكاملة ومنـــزّه عن جميع النقائص، وهو وحده يستحق العبادة ووجوده بديهي الثبوت لأنه الحي بذاته والقائم بذاته *(أي أنه حي دائم وهو موجود منذ الأزل وسيظل إلى الأبد)* ولا يتحلى غيره بصفة الحي بذاته والقائم بذاته. *(ثم وضح حضرته ﷺ: أنه ليس من شيء من بين الأشياء المخلوقة التي نراها في العالم وُجد بذاته ثم بقي قائمًا بناء على ذاته، بل هي ذات الله تعالى وحده التي تتسم بالأزلية والأبدية، أما غيره فهو مخلوقه، وينال منه حياته في وقت معين ثم بعد فترة يبلغ نهايته، ولا يُكتَب له البقاء والقيام على الدوام. فأنى لمن كانت حياته قصيرة ولا تقوم له قائمة أن يسمع أدعية الآخرين أو يستجيبها أو يهبهم ذرية؟ فلا يوجد إلا الله تعالى الذي هو مالك لجميع القوى والقدرات وله البقاء منذ الأزل وإلى الأبد. فلقد وضح الله تعالى في مستهل هذه الآية أنه لا معبود ولا إله لكم إلا الله، لذلك إذا كنتم تريدون أن تستفيضوا بصفاته فلا بد أن تجتنبوا الشرك ظاهريًّا كان أم خفيًا.)* ثم قال حضرته ﷺ: "ومما يتصف به الله تعالى وحده أنه لا يخضع لنوم أو نعاس وأنه ينظر إلى مخلوقه كل حين وآن ويراقب النظام الذي يديره بنفسه، ولا يتعب ولا يكلّ بإدارته."

إن الزهاد والمتصوفين يتعبون بل أكثرهم قد عزفوا عن أداء الصلوات والعبادات و لم يعد هُمُّهم غير الأكل والشرب وملء البطون والتنعم برغد العيش.

ثم ذكرتْ هذه الآية جانبًا من مسألة الشفاعة. والشفاعة حق. لقد تناولت هذا الموضوع باختصار في الخطبة الماضية فقال لي أحد إنك ذكرت الموضوع بطريقة وكأنه ليس من أحد ينال الشفاعة. فأقول الشفاعة حق ولكن الله تعالى لم يعط حق الشفاعة للزهاد والمتصوفين الزائفين، بل قال ﴿بإذنه﴾.. أي لا تتم الشفاعة إلا بإذنه تعالى. فمن ذا الذي يسعه الادعاء بأنه أُذِن له بالشفاعة من الله تعالى مهما كان عاملا بجميع أحكام آخر دين من عند الله تعالى.. أي الإسلام الذي يدين به المسلمون غير الأحمديين أيضا، والحقيقة أن الذين لم يؤمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام خرجوا تلقائيا من حكم الله تعالى. كما لا يسع أحدَ المسلمين الأحمديين أيضا الادعاء بأنه حظي بإذن الشفاعة من الله تعالى مهما كانت علاقته قوية مع الله تعالى.

أما المسيح الموعود عليه السلام، فإن الحادثة التالية توضح موقفه:

ذات مرة أصيب نجل نواب محمد علي خانْ بالحمى الشديدة، فلما دعا له المسيح الموعود عليه السلام نظرًا إلى الخدمات والتضحيات التي قدمها حضرة النواب نال ردًّا من الله تعالى أنه لا يُرجى شفاؤه. وعندها التمس عليه السلام في حضرة الله قائلا: يا ربي أنا أشفع له. فقال المسيح الموعود عليه السلام تلقيت جوابًا من الله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"، فأصابتني الرعدة فلما رأى الله تعالى حالتي ألهمني وقال: "إنك أنت الْمُجاز"، ثم دعا الله تعالى بتضرع

وابتهال شديدين فاستجاب الله دعاءه واستعاد المريض صحته ثم عاش فترة طويلة.

وقد ورد في حديث طويل أن النبي ﷺ أيضا سيقوم بالشفاعة بعد إذن من الله تعالى وإليكم جزءًا من هذه الرواية: عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ عَنْ خَادِمٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاجَتِي.. قَالَ وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ رَبِّي. قَالَ: فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ. (مسند أحمد، مسند المكيين)

فإن كنتم تريدون الشفاعة فلا بد من كثرة السجود، إذ لا يمكن أن تفوزوا بفيض الشفاعة بأداء صلاة أو صلاتين أو السجودِ على قبور الزهاد والمتصوفين الأولياء، وإنما الشفاعة تتحقق بإكثار السجود بإخلاص وصدْق لله وحده ﷻ، بحيث يجب أن يكون السجود إيمانا بأن الله واحد أحد وأنه صاحب كل قدرة وقوة وأنه هو الذي يسدّ جميع الحاجات.

ثم هناك رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ.. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ. (البخاري، كتاب العلم)

فمن قال "الله لا إله إلا هو" بإخلاص وصدق القلب بحيث لا تشوبه أي شائبةِ نفسٍ فهذا هو الأصل، وهذا الأصلُ هو الذي يجعل الإنسان مستحقا للشفاعة. وقد قال النبي ﷺ إنه سيشفع لمثل هؤلاء الناس. لقد أمره الله ﷻ أن يعلن في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران ٣٢). هذه الآية تضم إعلانا صريحا لليهود والنصارى أنه لا قيمة لدعاويكم بأنكم أحباءُ الله وأولادُه، ولا سيما المسيحيين الذين يقولون إنهم حائزون على حبِّ الله ﷻ لإيمانهم بابن الله، أو هو قد صار وسيلةً لنجاتهم؛ لأن اتباع النبي ﷺ هو وحده الآن يمكن أن يُكسب أحدا حبَّ الله. وهذا الإعلان إذا كان يتحدّى أتباع جميع الديانات، فهو في الوقت نفسه يؤكد لنا أيضا أن اعتناق الإسلام بالاسم فقط لا يكفي بل يجب اتباعُ الرسول ﷺ. إن النبي ﷺ هو أكثر الناس إدراكا لصفات الله ﷻ واتصافا بها، فإن كنتم تريدون الفوز بفيض شفاعته فلا بد من العمل بسنته ﷺ، والتأسي بأسوته والخضوع لحُكم القرآن الكريم، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها بحق النبي ﷺ "كان خُلُقه القرآن" أي كانت ميزته المميزة اتباعَه القرآن الكريم في كل قول وفعل وعمل.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير هذه الآية: لقد ورد في آيات كثيرة في القرآن الكريم ذكرُ شفاعة النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. انظروا بأي صراحة تؤكد هذه الآية أن اتباع النبي ﷺ - الذي من مقوِّماته الحبُ والتعظيمُ والطاعةُ - يجعل الإنسان حبيبَ الله ويجلب له غفران الذنوب. أي إذا كان

أحد قد أكَل سمَّ الذنوب، فإن إزالته يمكن بترياق الحب والطاعة والاتباع، فكما ينال المرء الشفاء من المرض بتناول الدواء يتطهر الإنسان من الذنوب أيضا، وكما يزول الظلامُ بحلول النور ويَبطل مفعولُ السم باستخدام الترياق، وتحترق الأشياء بالنار تتحقق نتائج الحب الصادق والطاعة الخالصة أيضا.

فحين يسعى المسلم لاتّباع النبي ﷺ اتباعا حقيقيا – ويجب أن يسعى لذلك – فهو الذي يؤدي حق كونه فردا من أمته على وجه صحيح، وبذلك ينال المسلم الحقيقي فيضا للأدعية التي دعا به النبي ﷺ لأمته.

لقد شرح سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع بتفصيل أكثر وقال مبينًا فلسفته:

"لا تظنّوا أن الشفاعة ليست بشيء. إننا نؤمن أن الشفاعة حق، والنص الصريح الدال عليها هو قوله تعالى ﴿وصَلِّ عليهم إنّ صلاتَك سَكَنٌ لهم﴾(التوبة: ١٠٣). هذه هي فلسفة الشفاعة، أي أن تخمد ثورة النفس لارتكاب الذنوب. من نتائج الشفاعة أن موتًا يحلّ بالحياة المليئة بالذنوب، وأن بردًا يحلّ بثوائر النفس ونوازعها، فيتوقف المرء عن المعاصي، ويقوم بالحسنات مكان السيئات. فالشفاعة لا تُبطل الأعمال بل تُحفِّز عليها. لقد اعترض الحمقى على مسألة الشفاعة لعدم فهمهم إياها، معتبرين الشفاعة والكفّارة والفداء شيئًا واحدًا، مع أنه لا يمكن أن تكون كذلك؛ إن عقيدة الكفّارة تغني عن فعل الحسنات، أما الشفاعة فترغّب في الحسنات. إن الأمر الذي ليس فيه حكمة ولا فلسفة لغوٌ، وإننا ندّعي أن أصول الإسلام وعقائده وجميع تعاليمه تنطوي على حكمة، الأمر الذي تفتقر إليه الأديان الأخرى.

كيف تحفز الشفاعة على الصالحات؟ هذا السؤال أيضا قد أجاب عليه القرآن الكريم نفسه، حيث بين أن الشفاعة ليست كالكفّارة التي يعتقد بها المسيحيون، ذلك أن القرآن لم يحصر الأمر في الشفاعة لأن هذا الحصر يؤدي إلى الكسل والغفلة، بل قال ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾.. أي عندما يسألك عبادي: أين ربنا؟ فأخبرْهم أني قريب، ذلك أن القريب يقدر على فعل أي شيء، أما البعيد فماذا عسى أن يفعله، فلو شبّ حريق مثلاً فيحترق كل شيء ويصبح رمادًا قبْل أن يصل خبره إلى الشخص البعيد عنه، ومن أجل ذلك قال الله تعالى هنا: إني قريب.

الحق أن هذه الآية تكشف لنا سرًّا من أسرار قبولية الدعاء، وهو ضرورة الإيمان بقدرةِ الله وقوتِه وبقربِه منا كل حين وسماعِه لدعاءِ كل داع. إن من أسباب رفضِ كثيرٍ من الأدعية ضَعْفَ إيمان الداعي بالله تعالى، لذا فهناك حاجة ماسة لأن نجعل الدعاء صالحًا للقبول، لأن الدعاء الذي لا يتفق مع الشروط التي وضعها الله تعالى لقبوليته، لن يجاب ولن يأت بنتيجة ولا فائدة ولو دعا به كل الأنبياء.

وجدير بالتفكر هنا أن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ من جهة: ﴿وصَلِّ عليهم إنّ صلاتَك سَكَنٌ لهم﴾، أي: أن صلاتك ودعاءك يصبح بردًا وسلاما عليهم ويخمد نيران ثوائرهم النفسانية، ومن جهة أخرى قال تعالى أيضًا: ﴿فليستجيبوا لي﴾، وبالجمع بهاتين الآيتين تتضح لنا أهمية نوعية العلاقات بين الداعي والمدعو له وما يترتب على هذه العلاقات من نتائج، ذلك أن الله تعالى لم يحصر الأمر في شفاعة النبي ﷺ ودعائه، ولم يقل أن هذا يكفي الإنسانَ

ويغنيه عن العمل، كما لم يقل أيضًا أنه في غنى عن شفاعة النبي ﷺ ودعائه من أجل الفلاح. (جريدة "الحَكَم" المجلد ٧ عدد ٩ بتاريخ ١٠ مارس ١٩٠٣ ص ٢-٣)

فإن أعمال الإنسان وخضوعه لله تعالى بكل إخلاص، وعبادته له، وعرضه جميع حاجاته عليه تعالى لهي أمورٌ تجعل الإنسان فردًا حقيقيًا من أمة النبي ﷺ.

وأقدم الآن مقتبسًا صغيرًا آخر من كلام المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول حضرته:

"إنما ينفع دعاء الداعي مَن يسعى لإصلاحه نفسه وتوطيد صلة صادقة مع الله تعالى. فلو شفع الرسول ﷺ لأحد، ولكن المشفوع له لا يهتمّ بإصلاح نفسه ولا يحاول الخروج من حياة غفلته، فلن تنفعه هذه الشفاعة شيئًا." (جريدة "الحَكَم" المجلد ١١ بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٠٣ ص ٧)

ثم ورد في إحدى الروايات عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ. (البخاري، كتاب الدعوات)

ندعو الله تعالى أن يجعلنا وذرياتنا إلى يوم القيامة من المؤمنين الحقيقيين من أمة النبي ﷺ حتى نستفيض بشفاعته.

والآن أقدم بعض أدعية المسيح الموعود عليه السلام المتعلقة بالشفاعة وهي مأخوذة من كتابه مرآة كمالات الإسلام. يقول حضرته عليه السلام:

"رب.. اجْزِ منا هذا الرسولَ الكريم خير ما تجزي أحدا من الورى. وتَوفَّنا في زمرته، واحشرنا في أمته، واسقنا من عينه، واجعلها لنا السُقْيا. واجعله لنا

الشفيع المشفع في الأولى والأخرى. رب.. فتقبل منا هذا الدعاء، وآوِنا هذا الذَّرى."

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"اللّهمّ فصلِّ وسلِّمْ على ذلك الشفيع المشفَّـــع المنجي لنوع الإنسان."

ثم يقول عليه السلام:

"ربِّ يا ربّ، اسْمعْ دعائي في قومي، وتضرّعي في إخوتي. إنّي أتوسّل إليك بنبيّك خاتم النبيّين، وشفيعٍ ومشفَّعٍ للمذنبين."

والآن أقدم في الأخير مقتبسًا من كلام المسيح الموعود عليه السلام ذكر فيه المكانة الرفيعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول فيه حضرته عليه السلام:

" لا كتابَ لبني نوع الإنسان على ظهر البسيطة إلا القرآن، ولا رسولَ ولا شفيعَ لبني آدم إلا محمد المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، لذلك فاجتهِدوا أن تصِلوا نبيَّ الجاه والجلال هذا بآصرة الحبّ الصادق، ولا تفضّلوا عليه سواه بأيِّ شكل، لكي تُعَدّوا في السماء من زمرة الناجين. وتذكروا أنّ النجاة ليست بشيء يظهر بعد الموت وإنما النجاة الحقيقية هي تلك التي تُري لمعاها في هذه الحياة الدنيا. ألا من هو الناجي؟ هو ذاك الذي يوقن بأن الله حق وأَن محمّدا صلى الله عليه وسلم شفيع وسيط بينه وبين الخلق كله. وأن لا كفوَ له من رسول ولا مثيلَ للقرآن من كتاب مكانةً تحت أديم السماءِ، وأنه لم يشأ الله لأحد أن يحيا خالدًا، إلاّ أنّ هذا النبي المصطفى حيّ إلى أبد الآبدين، وقد مهّد لحياته الأبدية إذ جعل إفاضته التشريعية والروحانية مستمرةً إلى القيامة، ومِن فضل فيضانه الروحاني أرسل الله إلى العالم أخيرًا المسيح الموعود هذا

الذي كان لا بدّ من مجيئه لتكميل البنيان الإسلامي، فإنه كان ضروريًا أن لا ينتهي هذا العالم ما لم يؤتَ للسلسلة المحمدية مسيحٌ بالصبغة الروحانية كما كان قد أوتي للسلسلة الموسوّية. وإلى هذا تشير آية ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩ ص ١٣-١٤)

فليس من نبي حيّ الآن إلا النبي ﷺ، فلا بد من إنشاء العلاقة مع من استفاض بفيضه فأرسله الله تعالى مسيحًا ومهديًا. وفقَنا الله تعالى لتمتين هذه العلاقة يومًا بعد يومٍ، ووفقنا للارتباط الوثيق بجماعة هذا المسيح والمهدي الذي جاء خادمًا صادقًا للنبي ﷺ، وأدخلنا في حزب المنعم عليهم وجعلنا ورثة لأفضاله ونعمه. آمين.